

فتاوى شرعية

معضلات العصر

للأستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوى

وزير مآرف الحكومة للتربية

- ٢ -

نص الجواب عن الأسئلة الأستفورية

جواب السؤال الأول :

الحمد لله الفتح العليم، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وآله وصحبه المستحقين لكل تكريم . أما بعد فأما مسألة إزام الملك أحمد زوغو سند الله له الخطأ، وأبعد عنه الخطأ، موظفيه وتلاميذ المدارس بلبس البرنيطة (القبعة^(١)) - فاعلموا أنه لم يأت في القرآن العظيم ولا في الأحاديث الصحاح التي وقفت عليها أن النبي صلى الله عليه وسلم أثم من أسلم من أهل الكتاب أو الشركيين، ولا الخلفاء الراشدون بعده ، تضيير الأذى أو جعلوا للمسلم لباساً خاصاً يتميز به . قال الله تعالى : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) ، وزينة الله ما يترين به عباده من اللباس على اختلاف أنواعه . وقد استئثت السنة من ذلك الحرير والذهب ، فإن لبسهما حرام على ذكور الأمة دون نساها . وقد أسلم عدى بن حاتم الطائي وكان نصرانياً حاملاً لصليب فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بطرحه ولم يصح أنه أمره بتغيير اللباس ولا أمر غيره بذلك . وفي الصحيح : أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبنة رومية ضيقة الكفين في السفر . وما جاز لبسه في السفر جاز في الحضر من باب لا فرق . وقال عليه السلام : « كانوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسرائف ولا نخيلة^(٢) » أخرجه البخارى تعليقاً ووصله أبو داود الطيالسى والحارث بن أبى أسامة في مستنديهما ولم يقع الاستثناء في رواية

(١) اشتهر في الفرق على السنة الجرائد إطلاق القبعة بوزن قبعة طي ما يطلق عليه لفظ البرنيطة ، وإنما القبعة في اللغة ثوب يخاط كالبرنس يليه الصبيان كما في القاموس . وفي المنجد البرنيطة مرهبتها القطنسوة
(٢) نخيلة : بوزن عظيمة الخيلاء والكبر

الطيالسى وسقط وتصدقوا من رواية الحارث وزاد في آخره : إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده . وأخرجه ابن أبى الدنيا بهامه في كتاب السكر . وإبان البخارى بصيغة الجزم وهي قال دليل على قوة إسناده ، بل على صحته كما هو مصطلحه في الملتقات من صحيحه . وعلق البخارى بصيغة الجزم أيضاً عن ابن عباس موقوفاً عليه : « كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو نخيلة » : وقد وصله ابن أبى شيبة في المصنف . نعم استئثت السنة أيضاً ما كان من باب التشبه بالكفار ، فقد أخرج الطبرانى في الأوسط بسند لا بأس به^(٣) عن علي كرم الله وجهه صرفوا : « إياكم ولبوس الرهبان فإن من تزيا بهم أو تشبه فليس منى » فانضح لكم ما استئثني من الآية وما بقى فيها على العموم . واعلم أن التشبه بالكفار في اللباس سواء للبدن أو الرأس أو الرجل فيه نوعان :

النوع الأول أن يلبس لباساً خاصاً بالرهبان دالا على رتبة من رتب الرهبة وكان بحيث أن من لبسه يدل حاله على أنه ارتد عن الاسلام ودخل في الكفر. هذا هو الذي يترتب عليه الكفر لأنه دليل على تغيير الاعتقاد الدينى ونحوه إلى معتقد الرهبان؛ وهذا هو المعنى بمحدث كلى السابق؛ ولذلك قال عليه السلام : فليس منى . وفي هذا النوع يقول الشيخ خليل المالكي في مختصره : الردة كفر المسلم بصریح أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمنه كإلقاء مصحف بقدر وشد زُ نارا قال . بنائى في حاشيته : الزنا ثوب ذو خيوط ملونة يشده الكافر في وسطه يتميز به عن السلم . قال والمراد به ملبوس الكفار الخاص بهم قال وسجل هذا إن فعل ذلك محبة في ذلك الزى وميلاً لأهله؛ وأما إن فعله هزواً ولعباً فهو محرم، إلا أنه لا ينتهى لحذ الكفر كما قال ابن مرزوق ١٥١ . فالردة عند المالكية متعلقة بتغيير الاعتقاد الاسلامى بناء على أن الايمان محله القلب؛ وكذلك الكفر فلا يحكم بالردة إلا إذا صدر عن الردد قول بصریح بذلك أو فعل يقتضيه اقتضاءً وانحماً كشد الزنا لقوله تعالى : (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله) فالآية واضحة الدلالة على أن الكفر والايمان مناطهما الاعتقاد بالقلب ، فكل ما دل على ترك

(١) أنظر هذه الأحاديث في كتاب اللباس من فتح الباب

ومتقرب المواصلات وتمجيد الأخبار كالتليفون والبرق وغير ذلك مما لا يحصى من الأمور الصحية والطبية ونظام الجنيدية واقتناء آخر طرز من الأسلحة والطائرات الجوية وغير ذلك ، فكل ذلك لا معنى للطن على من أخذ به أو الانتقاد بالتشبه عليه أو نسبته لفضل بدعة دينية . فالتشبه الذي نهينا عنه له حد محدود وقرينة الحال تدل على ذلك ؛ وهو كل ما كان راجعاً إلى تغيير الأمور التصيدية أو إذهاب الشعار القومية التي تفتى بذهاها ذاتية الأمة في ذاتية أم أخرى مما يمس جوهر الاسلام وأهنته ويحط من قدره . وإذا نظرنا إلى تغيير الزي يلبس البرنيطة الذي هو غير مفيد للاسلام في شيء وعرضناها على المعنى القصود وجدناها ليست من النوع الأول قطعاً الموجب للردة ، إذ ليست خاصة بأهل الكفر من الرهبان ؛ وإنما هي من النوع الثاني لما فيها من نحو شعار القومية ، فتأية الأمر أن تكون محرمة أو مكروهة . وأما حديث أبي داود والترمذي مرفوعاً : فرق ما بيننا وبين الشركين المأم على الفلانس ، فلا تنهض به حجة لقول الترمذي : إن إسناده ليس بالقائم وفيه رجلان مجبولان . ثم إن البرنيطة بالنسبة إلى موظفي ألبانيا قد تكون جائزة في حق من هو فقير منهم بحيث إذا عزل أصبح يتكف الناس وله عيال ، وهذا وإن لم يصل لحد الضرورة البيحة كأكل الميتة لكنه يحتاج إلى ذلك والحاجة في المذهب المالكي ملحقة بالضرورة . وقد أفنى ابن مرزوق : أن من لبس الزنار الذي هو موجب للردة مضطراً كأسير عندهم فلا حرمة عليه فضلاً عن التكفير ؛ نقله بناني في الحاشية وسئل له ؛ كما أفنى بأن من لبس الزنار هزلاً ولعباً لا يكفر ؛ وإنما يكون قتل حراماً . أما أغنياء الموظفين الذين أزموا بلبسها وهم غير محتاجين للوظيفة فهؤلاء قد يقال تكون في حقهم محرمة أو مكروهة ، ولا ردة تلزمهم في ذلك مادام الايمان ثابتاً في قلوبهم . أما من تورع عنها وزهد في وظيفته لا يكون فيه حراً حتى في لباسه فذلك أحسن

وإني على علم من أن بلدكم هي الدولة الاسلامية الوحيدة في أوروبا وتتبادل فيها عدد المسلمين مع غيرهم . فلأنا كأننا بتقديم استقالتهم جميعاً احتجاجاً على عدم رضاهم بتغيير زيهم الذي هو شعار قوميتهم التي تتعين المحافظة عليها ، لأخذ وظائفهم غير المسلمين ودال الأمر إلى تمكين غيرهم من التصرف في مصالحهم بما قد يكون مضراً بهم ودينهم . والفاعدة الشرعية إذا اضطر المسلم إلى أحد الضررين وجب اختيار أخفهما . وعلى هذا فلا يحرم

معتقد المسلمين دلالة صريحة فهو كفر كنبذ أحكام الارث والزواج والطلاق وكل ما علم من الدين بالضرورة، وكل ما لم يصل إلى ذلك فلا . واعلم أن الحكم على المسلم بالردة حكم باخراجه من جماعة المسلمين وحكم بإراقة دمه ، ولا أخطر من هذا الأمر في الاسلام الذي يحرص على تنمية عدد المسلمين وليس من شأنه أن يطردهم لأدنى شبهة وهم يذكرون الله ويمبدونه ، فان الله يقول : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالنعمة والمشى يريدون وجهه) الآية ويقول : (إنما يامر مساجد الله من آمن بالله) الآية

ونفيه هنا إلى أن متأخرى السادة الحنفية حكموا بالكفر في عدة فروع بأدنى شبهة وخالفوا مبدأ إمامهم المبني على التثبت والأخذ بحديث : إدراؤا الحدود بالشبهات . وتوسع في درء الحد بالشبهة إلى أقصى حد ؛ ولهذا أنكر عليهم الامام ابن الهمام منهم ، فكان يترك الفتوى بما رأوه ويفتى بغيره . ولشكف بهذا القدر تجنباً من الدخول في معمة مذهبية غير مرغوب فيها

النوع الثاني من التشبه ما كان خفيفاً لم يصل إلى حد الكفر بحيث لا يدل دلالة واضحة على تغير اعتقاد المسلم كلبس اللعاب، ولبس لباس غير زنار، وسدل شعر الرأس . وفي هذا ورد حديث البخاري عن ابن عباس : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب مما لم يؤمر فيه ؛ وكان أهل الكتاب يسدلون أعمارهم ، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم فسدل النبي صلى الله عليه وسلم فأصيته ثم فرق بسد) يدلنا هذا الحديث على أن الأمر العادي إن وقع السكوت عنه في الشريعة ولم ينزل فيه وحى كان يجب موافقة أهل الكتاب تأليفاً لهم وطمعاً في اجتذابهم إلى الاسلام ، أم لأنهم أهل شرع سماوي بخلاف كفار العرب الوثنيين ، ثم لما أيس منهم صار لا يوافقهم ففرق شعره . وكان الصحابة يمدون خبيرين منهم من يفرق ومنهم من يسدل إذ ليس هذا من قبيل التعمد بدليل قوله فيما لم يؤمر فيه ، وعلى هذا فلا نسخ في الحديث إذ لا تبدد فيها يظهر ، وبميد كل البعد أن تكون الأحكام الإلهية تبساً للأحوال السياسية ، والوحى ينزل : هذا وليس كل ما فعله الكتابي أو الجوسى يجب علينا مخالفته فيه . كلا . فهذا عمر بن الخطاب أحدث التاريخ في الرسائل الرسمية ودون الدواوين وكتبها بلغات أجنبية ونظم البريد وفعل غير ذلك مما يفعله الروم والفرس ولنا فيه فائدة تعم مصلحتها . وعلى هذا فكل ما لنا فيه فائدة ومصلحة عامة كلباس^(١) الجند وإحداث الأنظمة المحكمة

(١) وقد لبس المسلم ابن شهاب الزهري لباس الجند وكذلك الشيخ خليل أبو إسحق المالكي وغيرهما

اللباس العربي ولم يبق منه إلا للعمامة والقلنسوة . وهذه البقية الباقية من الزى الشرقي والشمار الاسلاى قد أخذت الأفتكار الكالية تكسحها وتعنى أثرها ، ولله فى خلقه شؤون . وأرجو أن تكونوا أخذتم أيضاً بالتنويرات والاسلحيات الحقيقية المفيدة التى أدخلها الكاليون على بلادهم لتذهب الحسنتات بالسيئات . ذلك كتنظيم الجند على الطراز الحديث ، وجعل أسطول جوى عتيد يقاوم كل طمع فى بلادكم ، وكنظيم المالية بالضبط الحقيقى ، وتوحيد الفكرة الألبانية فى كل ميادين الحياة ؛ واستخراج كنوز الأرض لكفائتها أهلها عامة ، وتوحيد طرق التلميم والتهديب لتجمع الأمة شملها وتكون على قلب رجل واحد ؛ وترتبة الشؤون الاقتصادية ، إلى غير ذلك

إخوانى، إن الاسلام ركته الأعظم فكرة واعتقادتين مؤسس على أسول الوحى والعقل القطميين فلا تزغره الكوارث ولا يتأثر بالتنفريات

والذى أوصيكم به وأحضكم عليه والذى تبذلون دونه كل غال ورخيص ، ونفس ونفيس ، هو القرآن الذى هو الحبل الثمين ، والركن الكين ، الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسنة النبوية الصحيحة ، صرتوا أولادكم على التمسك بهما وحفظهما والاحتفاظ بهما ، والعمل بما فىهما ، فذلك برنامج الفتح الألهى ، والتقدم الحقيقى . عشوا عليهما بالنواجذ ولا يضر السلم أن يتقمص فى أى توب كان إذا كان متمسكاً بهما ؛ ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . عليكم إخوانى بالتلميم .. التلميم .. التلميم .. تعليم العلوم القرآنية الخالية من شوائب الشذوذ ، والعلوم الحديثة الصحيحة واتباع طريق السلف الصالح وخير القرون فى كل أمر دينى . وعليكم بالجهد والاجتهاد فى انتقاء العلوم الدينية على اختلافها كيفما كانت ومن أى جهة جاءت ، والبلوغ فى الاقتصاديات لأعلى المجد واتباع أحدث طريق فيها . وروح النجاح فى ذلك كله هى الأخلاق الاسلامية المؤسسة على السيرة النبوية وتاريخ الاسلام المجد الذى هو الاكبير الصحيح الذى يقرب الأمم الخاملة إلى أم راقية ناهضة ؛ والله يؤيد حكومتكم ويجمع عليها كمنكم ويؤلف بين قلوبكم وبين قلب كل الباقين كيفما كان مذهبه ويمد عنكم أحقاد التفرقة السياسية بمنه وفضله أمين

محمد بن الحسين الفجرى

د بيم

حتى على أغنياء الموظفين ولا على من استعملها فى بلد غير إسلامى قصد السر وأمن السكر . أما المسلم الذى يلبسها اختياراً فى بلد إسلامى فلا شك فى الحرمة لما فيه من التشبه وإهانة القومية وتفريق جمع الاسلام وإياحة عرضه للطاغين

نعم لو فرضنا أن الموظفين للسلمين لا يستغنى عنهم ، وأن الملك يضطر عند تقديم استقالهم جميعاً إلى المدول عن أمره بلبس البرنيطة وجب عليهم جميعاً تقديم استقالهم ، ووجب على غيرهم ألا يقبل أى وظيفة منها إلا بعد الرجوع فى الأمر المذكور ؛ والوسيلة تعطى حكم مقصدها ؛ وأظن أن هذا عندكم غير متيسر ، بل إن الافكار (الكالية) قمت فعلها واحتلت كثيراً من الأدمنة الألبانية حتى تحطها إلى عليه القوم وسراتهم

لذلك لا يسمنا إلا أن نفتكهم بامتثال أمر الملك المؤيد ، ونصحكم بالمدول عن كل حركة يخاف منها على الأمن فى مملكة صغيرة فتية عاظة بالطامع نرجوها للنمو والنجاح . فإياكم إياكم الخلاف ما أمكن . وعليكم طاعة السلطان إن كانت فى المروف ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . لكن للضرورة أحكام . وطاعة السلطان واجبة كطاعة الوالدين التى جعل لها الحق سبحانه نهاية وآخرة فى قوله : (وإن جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما)

أما تلاميذ المدارس الدين أزموا ألا يقبلوا فى مدارس الحكومة إلا بالقبعة (البرنيطة) . فاما من كانت منهم دون بلوغ فتير مخاطب بتكفير ولا بتحرير وإعما المخاطب بذلك وليه . وأما من كان بالغاً مقلداً فإن مصلحة تعليمه مقدمة على مفسدة تزيير زى قوميته فى نظرى . ولا داء أدوأ من الجهل للبالغ وغير البالغ . يا إخوانى إن هذه السياسة العميقة التى تشد إزرها الأحوال والافكار المهدمة تسوغ لى أن أتنبأ لكم والأسف ملء جوانحى بأن البرنيطة عما قريب ستصير لكم اللباس القومى والشمار الألبانى قبل انقراض الجيل الحاضر . وأسفاه ؛ إن اللباس العربى الذى كان يلبسه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدين فتحوا أكثر العالم فى مدة جيل واحد وهذبوا وعللوا ومدنوا ما فتحوا — قد قضت عليه أزياء الفرس والروم ، بل حتى أزياء الرهينة ، فان القنباذ عندنا قريب من ستره الرهبان ، وهكذا الطربوش النموسى الذى عم الممالك الاسلامية ، والجيدور الذى يوجد فى أكثر بلاد الاسلام ؛ حتى النعال ، كل ذلك نسخ